الفرق الكلامية
والمتغيرات الاجتماعية (في المجتمع الإسلامي)

د . محمود كيشانه

لقد شغل علم الكلام حيزًا كبيرًا في تاريخ الفكر الإسلامي على مر العصور ؛ حيث كان له مدارسه المتعددة والتي أثرت الحياة الفكرية الإسلامية بالعديد من الآراء والنظريات ، حقًا قد نعلم أن كثيرًا من هذه الآراء وتلك النظريات لم تلق القبول في الوسط الإسلامي ؛ وذلك لأنها كانت في جوانب كثيرة منها تعرض العقائد بطريقة مخالفة للدين الإسلامي السمح في عقائده ؛ إذ ما كان للمسلمين أن يقبلوا شيئًا مخالفًا لدينهم . إلا أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن علم الكلام قد كان له جهوده المحمودة في الدفاع عن الدين وبيان أثر التمسك به على نفوس أتباعه .

فعلم الكلام نشأ نشأة دينية صرفة قوامها الأساسي الدفاع عن الدين ضد أهل الملل الأخرى ، فكان المتكلمون بحق خط الدفاع الأول ضد كل الافتراءات والأباطيل التي وجهوها ضد الإسلام ، والحق أن المتكلمين كانوا أبعد ما يكونون عن النزاع والشقاق مادام الأمر يتعلق بالدفاع عنه ضد هؤلاء ، وأكثر ما يكونون قربًا منهما إذا ما عالجوا القضايا الكلامية والأمور الفرعية .

وعلى هذا فإن دراستنا لعلم الكلام هنا محاولة لإجبار ما ظهر من كسر فيه ، ومحاولة لإعادته إلى رحاب الدين ، ومن ثم اتجهنا إلى بيان - في وضوح وقوة - خطورته عليه وعلى المسلمين إذا كان الأمر يتعلق بالحديث خاصة عن الجبرية والمشبهة ومن سار على نهجهما من المتكلمين .

ولا يفهم من هذا أننا نحو باللائمة على أتباع الفرق الكلامية على الدوام ، وإنما كان الحس العقلي والديني يدعونا إلى التمسك برأي من الآراء الخاصة بهم مادام كل منهم يتخذ من الشرع مسلكًا ومن الاتجاه العقلي والمنطقي سبيلاً . وهذا يدعونا إلى القول بأننا لم نكن من المتعصبين ضد أي من هذه الفرق ، كما لم نكن عدائيين بأي حال من الأحوال ، وإنما كانت تقودنا النصوص التي بين يدينا والتي تزخر بها كتب المتكلمين . فمن منا ينكر تمسك المتكلمين بالمنهج الجدلي والتفريع والتقسيم ؟

إن دراستنا هنا لتحاول أن تبين بحق كيف يكون التمسك بالشرع بجوار المنهج العقلي منجاة للمسلمين من الوقوع في الخطأ أو البعد عن العقيدة ، كما أنها لتبين كيف يكون باعثًا إلى النهضة والتقدم الحضاري .

لماذا سمي علم الكلام بهذا الاسم ؟

يقال إن علم الكلام سمي بهذا الاسم لأحد أمرين :

الأول، أن المتكلمين تكلموا في الأمور الاعتقادية التي كان يجب السكوت عنها ، وعدم الخوض بالحديث فيها؛ حيث روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال : " تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قومًا تكلموا في الله فتاهوا" وقول الإمام مالك : " إياكم والبدع ؟ قيل يا أبا عبد الله ،وما البدع ؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"

الثاني ، أن أشهر قضايا علم الكلام والتي دار حولها جدل كبير هي مسألة كلام الله تعالى هل حادث أم قديم ؟ أو ما اصطلح عليه بقضية خلق القرآن ، وهي القضية التي أثارت جدلاً كبيرًا داخل مدارس علم الكلام.

تسمياته :

سمى علم الكلام بتسميات عدة :

الأول ، علم الكلام، وقد بينا كما سلف سبب تسميته هذه .

الثاني ، علم التوحيد، وسمي لهذا الاسم تسمية له بأهم أجزائه أو قضاياه وهو التوحيد ، وهو الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له .

الثالث ، علم أصول الدين ، حيث إن الدين يتكون من أصول ، وهي مجموع العقائد ، وفروع هي العبادات والمعاملات ، بما يعني أن علم الكلام يدرس الأصول أو العقائد الإيمانية ، وهي الأساس الذي يقوم عليه الدين ، ولا تقدم الفروع على الأصول ، حتى أن هناك من جعل علم العقائد – علم الكلام – الفقه الأكبر بالمقابلة بالفقه الأصغر وهو علم العبادات والمعاملات .

تعريفه :

يمكن القول إنه قد تعددت تعريفات علم الكلام عند الفرق الكلامية ، إلا أنها كلها كانت تصب في دائرة الدفاع عن العقائد الدينية ، ومن ثم نختار تعريفًا يبين لنا مفهوم علم الكلام ، وهو التعريف الذي أخذناه من الإيجي ؛ حيث يعرف الإيجي علم الكلام بأنه : " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه " . ويتضح من هذا التعرف المقاصد الكبرى لعلم الكلام وهي :

أ – بيان العقائد الإسلامية .

ب – الدفاع عن العقائد ضد المخالفين .

ج – إبطال العقائد الأخرى وتفنيدها والرد عليها .

موضوعه :

يتناول علم الكلام عدة موضوعات رئيسة تعد من صميم هذا العلم ، ومن الركائز الأساسية التي تقوم عليها مباحثه :

أ – العقائد الدينية الكبرى وهي : الإلهيات والنبوات والسمعيات .

ب – مجادلة أهل الأديان الأخرى وتفنيد أرائهم والرد عليها .

ج – موضوع الإمامة ، وهو ليس من موضوعات العقيدة ، وإنما من قضايا السياسة ، وقد دخل مجال علم الكلام بفعل الشيعة الذين جعلوا الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام ، وأدخلوها في سجالات علم الكلام ، الأمر الذي جعل أهل السنة يردون عليهم فيها ، ويسيرون على دربهم في معالجتها ضمن موضوعات علم الكلام .

د – المقدمات العقلية التي تتخذ سبيلا للاستدلال على علم الكلام وقضاياه العقدية ، كالجوهر والعرض والحال ، والعلم وأنواعه ، ووسائل المعرفة ، والقياسات المنطقية ، وغيرها .

منهج المتكلمين :

لا شك في أن دراسة علم الكلام والفرق الإسلامية لمسألة شاقة وصعبة ؛ ولعل ذلك يرجع في جوهره إلى كثرة هذه الفرق واختلاف آرائها ، والتزامها منهجًا مناقضًا غيرها " وهذه الصعوبة تعترض الباحث في الفرق الإسلامية ؛ بل وفي كل دين من الأديان "([1]) ومن هنا فإن الخوض في هذا المجال وولوج ذلك البحر الخضم لأمر من الخطورة بمكان ؛ خاصة أنه قلما يظهر أحد شجاعة في آرائه غير آبهٍ بما يوجه إليه من نقد . ويمكن القول إن سنحاول ألا ندرس علم الكلام دراسة تاريخية قائمة على تتبع نشأة الفرق الكلامية وأسباب ظهورها بطريقة استقصائية بحتة ؛" لأن التفاصيل التاريخية وما يحيط بها من قصص وأساطير قد تستهوي قلم الباحث فتخرجه عن موضوعه الأساسي"([2]) ، وإنما سنعول على ما يفيدنا من نشأة هذا العلم في فهم قضاياه ومنهجيته الجدلية .

ورغم أننا في هذا الكتاب نعرض لأسباب نشأة الفرق الكلامية وتداخل الظروف السياسية والدينية والخارجية في نشأتها فإنه سيكون دأبنا في الغالب الأعم دراسة علم الكلام دراسة موضوعية، وذلك بعرض نماذج واضحة لفكر المتكلمين نكشف من خلالها عن اتجاهاتهم الأصلية وخصائصهم الذاتية، غير أن هذا لا يعني أننا نهمل الدراسة التاريخية ؛ وإنما اعتمدنا عليها اعتماداً باهتاً ؛ بحيث تضيء لنا الطريق في فهم بداية نشوء الخلاف بينهم ، وفي فهم الأفكار الأساسية لكل فرقة من تلك الفرق . وقد كان اهتمامنا في دراساتنا عن المتكلمين ببعض من الفرق الكلامية ؛ اعتمادًا على أن هذه الفرق تعبر عن فكر قطاع عريض من المسلمين في تلك الفترة ؛ ولأن اتجاهات هذه الفرق كانت أكثر وضوحًا من غيرها، فضلاً عن تميزها بالزيوع والانتشار في أرجاء العالم الإسلامي ،ونعني بتلك الفرق المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ولم نكتف بذلك .

([1]) د . ألبير نصري نادر ، مدخل إلي الفرق الإسلامية السياسية والكلامية ، ط دار المشرق ، بيروت ، 1989 م ، ص 7

([2])د . محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، ط دار المعارف ، القاهرة ، الثالثة ، 1970م ، ، ص 5

وإنما نورد – في بعض الأحيان - رأي كل منها في المسألة موضوع البحث بطريقة إجمالية لا تفصيلية كما هو الحال في حديثنا عن المعتزلة والأشاعرة والماتريدية .

ويمكن القول بأنه من الواجب علينا أن نتخذ موقفًا شديدًا من المتكلمين عامة ؛ ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى المنهج الذي استخدموه في القضايا الكلامية فقد "اتبعوا منهجًا فلسفيًا أقل وضوحًا وقوةً – يقصد عند مقارنة منهجهم بمنهج الفلاسفة – وإنما كان منهجهم منهجًا واهيًا ؛ لأنه منهج جدل لا منهج إقناع، لذا فهو لا يصلح – في الحقيقة – لا للعلماء ولا للعامة ؛ بل هو أعجز عن أن يقنع المتكلمين أنفسهم "([3]) . وهذا النوع من الجدل معروف عند المنطقيين بالقياس الجدلي ، وهذا القياس لا يشترط في مقدماته إلا أن تكون مشهورة فحسب ،سواء وجدت فيها شروط المقدمات اليقينية أم لم توجد .([4]) وعلى ذلك فإن كل فرقة اتخذت منهجًا مخالفًا مما أوقع المتكلمين في كثير من الإشكاليات ، ويمكن الاستدلال على أن منهجهم لا يرقى لدرجة القبول بعدة أسباب : الأول ، أنهم لم يؤلفوا رأيًا موحدًا فيما بينهم . الثاني، أن خلافهم يرجع في كثير من المسائل إلى سوء تحديدهم لها ،" فالمنهج الخاطئ يؤدي إلى نتائج خاطئة "([5]) ، الثالث ، أن المشاكل التي بينهم لفظية لو عولجت بطريقة علمية لوجدوا في الغالب أنهم يقولون شيئاً واحدًا ، الرابع ، أن طرق المتكلمين في البرهنة على العقائد الإسلامية تثير من الشبهات أكثر مما تدعو إلى الإقناع .

ومن هنا فقد اتهموا بأنهم " لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في أمور العقيدة إلا اختلفوا فيها كثيرًا أو قليلاً . وما كان لهم إلا أن يختلفوا ، طالما كانوا ينهجون

([3]) د . محمود قاسم ، مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، مقدمة تحقيق كتاب مناهج الأدلة لابن رشد ، ط الأنجلو المصرية ، 1955 م ، ص 9

([4]) انظر ابن رشد ، تلخيص كتاب البرهان ، تحقيق د . محمود قاسم ، ط الهيئة العامة للكتاب ، 1982 م ، 59 ، 60

([5])د . قاسم ، مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ص 9

منهج الجدل ، وطالما ينسون في كثير من الأحيان أنه لا يحق للباحث في مسائل الدين أن يطبق الاعتبارات الإنسانية على الذات الإلهية." ([6]) وهذا يبين الأثر السيئ الذي خلفه الفكر الكلامي ، ودوره في تقويض دعائم البناء الإسلامي العتيد ؛ " ذلك أنهم فرقوا دون أن يعلموا بين قلوب المسلمين ، وأباحوا لهم أن ينصرفوا إلى تكفير بعضهم بعضًا ، وإلى تقليد شيوخهم وتعطيل عقولهم ، كما سوّلوا لهم – عن غير قصد أيضًا – أن يخالفوا الرسول بأن يبحثوا في ذات الله وصفاته بدلاً من أن يتفكروا في خلق الله"([7])

والحق أن المتكلمين –رغم دورهم المحمود في الذب عن العقيدة الإسلامية ضد أصحاب الملل الأخرى- بطرقهم الجدلية وتفريعاتهم الكثيرة- قد شوهوا العديد من العقائد عند المسلمين ، فلم يكونوا يعبرون بطريق مقنعة عن عقائد الإسلام السمح في عقائده وتشريعاته ؛ إذ إنهم لم يلتزموا بمنهج الرسول وصحابته من بعده بعدم الخوض في تلك المسائل ([8]). لقد كانت دعوته صريحة من حيث التفكير في الخلق دون الخوض في المسائل الغيبية ؛لأن العقل البشري له حدود لا يمكن أن يتعداها ([9])، وإذا ما فكر برهة في ذلك فإنه يتخبط في ظلمات لا يستطيع أن يغترف منها إلا شبهاً وشكوكاً لا تمت لمجال اليقين بصلة .

أسباب نقد المتكلمين عامة :

وهنا يطرأ سؤال مهم مؤداه : ما العوامل التي ساعدت على اتساع هوة الخلاف بين المتكلمين عنده ؟ ولعل الإجابة على هذا السؤال يمكن استخراجها من ثنايا حديثه عن المتكلمين ، ومن جانبي يمكن أن أوجز هذه العوامل على النحو الآتي :

([6])د . قاسم ، السابق ، ص 9

([2]) د . قاسم ، السابق ، ص 9

([8]) انظر أ . د . محمد السيد الجليند ، الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1973 م ، ص 91 ، 92

([9]) انظر د . عبد الحليم محمود ، فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان ، ط الأنجلو المصرية ، بدون ، ص 32 ، 33

1- عندما يتعرضون للنظر العقلي والبحث المنطقي بما لا يتفق مع موجباتهما .
2-عندما يتبعون المنهج الجدلي الكريه الذي يثير من الشبه أكثر مما يدعو إلى الإقناع
3-عندما يرمي المتكلمون الفلاسفة بالكفر .
4- عند تطبيق المتكلمين الاعتبارات الإنسانية على الأمور الإلهية ، ويتجلى ذلك في مسألة الصفات وعلاقتها بالذات عندهم .
5-عند لجوء المتكلمين إلى التأويل ؛ ولعل النقد الشديد الذي وجه لهم في تلك المسألة يعود إلى عدم وجود قانون أو منهج محدد في التأويل ، فكل فرقة تؤول النصوص حسب رأيها الخاص الذي تميل إليه.
6- تبني كل فرقة منهجًا خاصًا بها في تأويل آي القرآن الكريم ، وما يستتبع ذلك من لي عنق الآيات لتتوافق مع آرائهم ،ويتضح ذلك أشد الوضوح حول آيات الصفات ؛ حيث لم يلتزموا منهجًا واحدًا في التأويل ، وإليه يرجع السبب في الفرقة التي حلت بالمسلمين واحتدام النزاع بينهم.
7-انصراف كل فرقة إلى الجدل والحجج ؛ رغبة في الانتصار الزائف على خصومهم .
8-التظاهر بالمعرفة، "ولو كان هذا التظاهر على حساب التفكير السليم والأسس المنطقية "([10])
9- الخلاف حول الأدلة العقلية –آيات أو أحاديث.
10- التعصب للرأي والتقليد الأعمى للمذهب ، حتى لو كان خطأ.
11- سوء تحديد المشكلة بسبب تطبيق الأمور الإنسانية على الذات الإلهية.

([10]) مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ص 7 ، وانظر د . علي عبد الفتاح المغربي ، حقيقة الخلاف بين المتكلمين ، ص 109

12- فضلاً عن هذا كله ، فهناك مجموعة من العوامل المختلفة ، من ذلك : الميول والعواطف ناحية المذهب ، وطبيعة الموضوعات الكلامية ، وطبيعة البشر التي دائمًا تميل إلى الاختلاف بدعوى الطاقة الفكرية التي أوجدها الله في الإنسان، وعدم تفرقة المتكلمين بين ما هو أصل ثابت وما هو فرع ثانوي ([11])؛ حيث هناك الكثير من المشاكل الحقيقية، التي إن وجدت فإنها لا تسمى أصلاً من أصول الإيمان إلى الحد الذي يوجب تكفير الخصوم ([12]) .

وليس لأحد أن يتهمنا بالقسوة على المتكلمين عامة ، على اعتبار أن الخلاف بين المتكلمين أمر متوقع وطبيعي ، أو اعتمادًا على أنه سنة كونية تشمل مظاهر الكون وجميع المخلوقات ؛ لأن الإنسان مميز عن سائر المخلوقات بالفكر ، ويعد الخلاف أهم مظاهر النشاط الفكري للإنسان ([13])، كما أنه ليس لأحد أيضًا أن يتهمنا بذلك استنادًا إلى أن هذا الخلاف أثرى الفكر الكلامي خاصة عند المعتزلة والأشعرية ؛ لأن كل طرف منهما حاول جهد طاقته استنباط آراء جديدة تعمق آراءهم السابقة ، خاصة المعتزلة ([14])، مما أثرى بدوره الحياة الفكرية الإسلامية عامة . أقول ليس لأحد أن يتهمنا بالقسوة على المتكلمين لذلك ؛ وذلك اعتمادًا على أننا ندرك هذه الأمور جميعها ، إلا أننا ننظر على الجانب الآخر فنجد أن هذا الخلاف – رغم كونه لفظيًا – إلا أنه أصبح خطرًا يهدد بتقويض دعائم البناء الإسلامي العتيد ، فضلاً عن اتجاه كل فرقة إلى تكفير الأخرى على نحو جعل الأمر من خلاف إلى عداوة وتكفير ، فانقسمت الأمة شيعًا وأحزابًا .

أسباب نشأة الفرق الكلامية :

([11])د . علي عبد الفتاح المغربي ، حقيقة الخلاف بين المتكلمين ، ص 109

([12]) مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ص 10

([13]) انظر هذه الفكرة تفصيلاً د . علي عبد الفتاح المغربي ، حقيقة الخلاف بين المتكلمين ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، الأولي ، 1994 م ، ص 6 ، 15

([14]) انظر د . عادل العوا ، المعتزلة والفكر الحر ، طبعة الأهالي ، دمشق ، الأولي ، 1987 م ، ص 147

وهنا يثور سؤال آخر :إذا كانت هذه هي عوامل اتساع الخلاف بين المتكلمين ، فما هي بداية ظهور الخلاف ؟ أو من جانب آخر ما هي الأسباب الحقيقية في ظهور الفرق الكلامية ؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال لابد من أن نشير إلى أننا لن نهتم كثيرًا بدراسة الجانب التاريخي ، إلا بصورة تضيء لنا الطريق في فهم بعض الأفكار الأساسية – كما أشرت من قبل – فإننا لن ندرس نشأة الفرق الكلامية وأسباب ظهورها إلا بطريقة موجزة لا تفصيل فيها ؛ لأن فكرنا يظل متجهًا إلى عمق فكر المتكلمين محاولاً كشفه وبيان تهافته ،إلا أنه يمكن أن نوجز أسباب ظهور الفرق الكلامية في الآتي :

أولاً- الجانب السياسي :

يمكن القول إن بداية الخلاف ترجع إلى الخطر السياسي الذي نبع من داخل المسلمين ، لا من خارجهم ، "فإن أولياء الأمر فيهم اختلفوا فيمن هو أحق بالخلافة ،فدب الصراع بينهم منذ عهد الخليفة الثالث ، وهو عثمان بن عفان ..." ([15]) وتلا ذلك العديد من الأحداث المتلاحقة ، بدأت بانشقاق المسلمين حول علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وأيهما أحق بالخلافة ، انتهى بمقتل الأول ، وتولي الثاني خلافة المسلمين ، ودخلت عامة المسلمين في طاعة معاوية إلا فرقتين :الخوارج والشيعة ، وتلك كانت بداية ظهور الفرق . أما الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي في موقعة صفين رافضين قضية التحكيم ، فعادوا الأمويين العداء الصريح ، واعتبروهم مارقين عن الدين ، وأما الشيعة الذين أيدوا عليًا فأخذوا يترقبون لاسترداد الحكم ، وأخذوا أيضًا يحيكون كثيرًا من الأساطير حول شخصية الإمام علي ، بل رفعه بعض من المتطرفين إلى مرتبة الألوهية والتقديس ([16]) وقد دخلت الفرقتان في حيز فرق علم الكلام / لأن كل واحدة منهما اتجهت إلى

([15])د . قاسم ، نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية ، ط الأنجلو المصرية ، بدون ، ص 6

([16]) د . قاسم ، السابق ، ص 6 ، 7

الآيات والأحاديث لتؤيد وجهة نظرها ، مما حدا بالقضية إلى أن تنتقل من حيز السياسة إلى حيز العقيدة ، والعقيدة موضوع علم الكلام .

ثانياً – الجانب الديني :

وبناءً على ما سبق فقد تطرق الخلاف بين المسلمين من الناحية السياسية إلى ناحية أخرى أشد وأنكى ، فقد "تطرق الخلاف الديني بين المسلمين بعد أن شملهم بسبب الصراع السياسي ? ونشأت الفرق الدينية الأولي في الإسلام "([17]). وعلى ذلك يمكن القول بأن الخلاف سببه الأول الصراع السياسي الذي انصرف إلى صراع ديني عندما ولج بعضهم منهجًا يعالج هذا الصراع بأسلوب ديني ، وقد ترتب على ذلك نشأة فرق عديدة مثل : المرجئة ،أي التي أرجأت حكمها في ملوك بني أمية ، فلم تذهب مذهب الخوارج في تكفيرهم لارتكابهم الظلم والقهر، ولم تشأ أن تخرج عليهم علانية .

ثالثاً – وقد توالى ظهور الفرق الكلامية ، وشيوع الجدل في بعض العقائد ، وقد ساعد على ذلك **"اختلاط المسلمين بمسيحي الشام "**([18]) ، وقد دارت بينهم محاورات ومناظرات كثيرة حول بعض الأفكار والعقائد والتي أثارها أهل البلاد المفتوحة ، مما كان له أكبر الأثر في تحويل ذهن المسلمين إلى علم الكلام .

رابعاً – شيوع النظر والجدل في القرآن الكريم ، وذلك من خلال الآيات الكثيرة حول موضوعات القضاء والقدر ، وخلق القرآن أو قدمه والصفات ، ففي مسألة القضاء والقدر تبين للمسلمين أن هناك آيات كثيرة تقرر أن الإنسان حر مختار، وآيات أخرى تقرر أن الله خالق كل شيء، وهو الذي يريد الهدى والضلال للناس ، فانقسم المسلمون إلى قسمين : الأول ، يعترف بقدرة الله على خلق أفعاله ، فسموا قدرية ، والثاني يقرر أن الإنسان مجبر على أفعاله ، فسموا جبرية ([19])،

([17])د . قاسم ، السابق ، ص 6

([18]) نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية ، ص 7

([19]) نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية ، ص 7

ولعل انقسام المسلمين يعود إلى قصور فهمهم في تجميع وتصور المغزى من هذه الآيات ،التي تبدو في ظاهرها متعارضة ؛ إذ إنهم لو جمعوا بين الآيات في الموضوع الواحد لتوصلوا إلى الحقيقة التي يريد الشرع إقرارها ،غير أن كل فرقة منهم نظرت إلى جانب دون الجانب الآخر تؤيده بما لديها من آيات تعضض من رأيها . تلك كانت بداية ظهور الخلاف ،إلا أننا نؤكد من جديد على تركيزنا على الجانب السياسي وأثره في تطور الصراع على الصعيد الديني ، ولعل ذلك يتضح إذا علمنا أن الأمويين أهل السياسة والحكم أججّوا نيران الجدل بين المسلمين ؛ وذلك من خلال ميلهم إلى طائفة الجبرية ؛"لأن آراءهم كانت أكثر ملائمة لتوطيد ملكهم ، وإسكات صوت معارضيهم بحجة أن انتقال الخلافة إليهم كان بقضاء الله وقدره "([20]) ، فكان لابد من رد فعل طبيعي يقف في وجه الجبرية ،فظهرت لنا المعتزلة التي تبنت آراءً جديدة مناقضة للآراء الجبرية، وإن تطرفت فيها على نحو لم يعجب كثيرًا من المسلمين فكان ظهور الأشعرية رد فعل طبيعي في هذه الحالة .

وهكذا تكونت الفرق، وبدأت مرحلة ظهور الخلاف والشقاق بين المسلمين .

([20]) السابق ، ص 7